(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثاني/ محور علوم القرآن ومحور اللغة العربية ومحوراللغة الفارسية,
الصفحات 354–364

المنظومة القيمية للمواطنة نظرة فكرية إسلامية معاصرة

أ.م.د. يوسف نوري حمه باقي[1]*

م.د. مصطفى محمد صالح عطيه نصيف[2]

[1] *كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد ,بغداد ,العراق*

[2] *كلية العلوم الإسلامية ,جامعة بغداد بغداد ,العراق*

الملخص

إنَّ المرحلة الحرجة التي نعيشها ويعيشها بلدنا تجعل الحديث عن الموضوعات اللصيقة بمكافحة الإرهاب ولا سيما الجماعات الإسلامية المتطرفة منها حديثًا ضروريًا؛ لأنَّ أهمية الحديث عن تفكيك بُنية العنف في مجتمعاتنا تكمن في كونها الأسس الفكرية والمنهجية اللازمة لحركة الأمة على وفق التصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، إذ لا يخفى أنَّ موضوع الدراسة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأهم قضية، وهي الغاية من وجودنا.

الكلمات المفتاحية: المنظومة، القيمية، المواطنة.

The value system of citizenship is a contemporary Islamic intellectual view

Asst. Professor Dr. Yousef Noori Hama Baqi[1*]

Lecturer Dr. Mustafa Muhammad Saleh Attia Nassif[2*]

[1] *College of Islamic Sciences, University of Baghdad, Baghdad, Iraq*

[2] *College of Islamic Sciences, University of Baghdad, Baghdad, Iraq*

Abstract:

The critical stage in which we and our country are living makes it necessary to talk about issues related to combating terrorism, especially extremist Islamic groups. Because the importance of talking about dismantling the structure of violence in our societies lies in the fact that it is the intellectual and methodological foundations necessary for the movement of the nation in accordance with the Islamic conception of the universe, life, and man. It is no secret that the subject of study is closely linked to the most important issue, which is the purpose of our existence.

Keywords: system, values, citizenship.

* **Email address: youssef.n@cois.uobaghdad.edu.iq**

المقدمة

أولًا: التعريق بموضوع البحث:

هناك اتجاه قوي وواسع يحاول أن يُعَولِم المواطنة ويحاول إسباغ القدسية عليها، بل ويجعلها هدف للفرد في المجتمع وهو في سبيل ذلك يحاول محو الفوارق الثقافية بين أفراد المجتمع وصولًا إلى "طمس الهويات الفرعية والانصهار في" بودقة "ما يسمى بالمواطنة".

وتعد فكرة البحث فكرة براقة وجميلة، وبخاصة بعد الويلات التي جرتها الهويات الفرعية من صراع داخلي أحرق الحرث والنسل، ويعد هذا الصراع مدروسًا بحيث يدفع باتجاه اعتماد مبدأ المواطنة فوق رابية من الهويات الفرعية والثقافية المتنوعة المتشرذمة والممزقة والتي نجحت بسرعة في تفتيت النسيج المجتمعي وكيان الدولة العصرية والمدنية.

ثانيًا: أهمية الموضوع:

"تقوم فكرة المواطنة على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت أي مسوغ دينيًا أو عرقيًا أو فكريًا أو سلوكيًا أو مجتمعيًا، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى أتباع الديانات المختلفة في المجتمع الواحد ودون تهميش أي مكون".

ثالثًا: اشكالية البحث:

تكمن اشكالية البحث في المحاولة لإماطة اللثام عن الموضوع بتجرد كبير، فمن الأولويات التي ينبغي أن تتجه لها جهود التأصيل الإسلامي العمل على تأصيل المفاهيم والمصطلحات تأصيلا إسلاميًا وربطها بالجذور الإسلامية المبثوثة في الفكر الإسلامي؛ فتأصيل المفاهيم ضرورة علمية، إذ لا يمكن بحال من الأحوال أن تتقدم الأمة أو تزدهر حضارتها دون العناية التامة بأمر المفاهيم والمصطلحات وضبطها بضوابط الشريعة الإسلامية، فالمفهوم هو المعبر عن هوية الأمة وذاتها وخصوصيتها وتميزها الحضاري، ولا يخفى أنَّ موضوع الدراسة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بأهم قضية، وهي الغاية من وجودنا.

رابعًا: منهج البحث:

سنتبع في دراستنا لموضوع البحث المنهج التحليلي؛ وذلك باستقراء النصوص التي تناولت موضوع ومفردات البحث، وبيان مدى نجاحها في تحقيق الغاية المنشودة من وراء تحقيق الأهداف المنشودة للبحث.

خامسًا: خطة البحث:

"اقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث"، وخصصنا المبحث الأول لتبيان المفاهيم، وجعلنا المبحث الثاني مخصصًا للتأصيل الإسلامي لفكرة ترسيخ قيم المواطنة من خلال الآيات القرآنية والسنة النبوية، وأما الخاتمة فقد أوجزنا فيها أهم نتائج البحث وما توصلنا إليه "في هذه الرحلة الماتعة والمباركة، وأخيرًا فهذا جهد المقل فإن وفقنا فيه فهو محض فضل من الله تعالى، وإن كانت الأخرى فمنا ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء".

المبحث الأول

تعريف المفاهيم

المطلب الأول: مفهوم القيم لغةً واصطلاحًا

أولًا: القيم لغةً: القيمة: "واحدة القيم، فعله يُقيمُ، وماضيها: قَيَّمَ وأصله الواو؛ لأنه يقوم ما قم الشيء فالقيمة ثمن الشيء بالتقويم تقول: تقاوموه فيما بينهم، وماله قيمة إذا لم يدم على شيء"[1].

ومنها القيام أي: العزم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾[2]. ومنها المحافظة قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾[3]، أي: ملازمًا ومحافظًا[4].

ومنها القائم بالدين؛ أي: "المستمسك به والثابت عليه، وكل من ثبت على شيء فهو قائم عليه، والقائم في الملك الحافظ له، وماء قائم أي دائم"[5].

ومنها الاستقامة؛ أي: "اعتدال الشيء واستواؤه، وقَومتُه فَقَامَ بمعنى: استقام"، ومنها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾[6]، أي: "عملوا بطاعته وعملوا بسنة نبيه"[7]، وفي الحديث الشريف عن سفيان بن عبد الله الثقفي (رضي الله تعالى عنه) قال: "قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: قل آمنت بالله فاستقم"[8].

ثانيًا: القيم اصطلاحًا:

تتنوع تعريفات القيم وتتعدد تبعًا للإطار المرجعي الذي يخضع له الباحث، لذا فهناك العديد من التعريفات الخاصة بالقيم والتي تنبع من عدها موجهات السلوك أو العمل، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للقيمة عن المعنى اللغوي في المنظور الإسلامي والأدب العربي.

فهي تعني: "ما قوم به الشيء بمنزلة المعيار من غير زيادة ولا نقصان"[9]، وعرِّفت أيضًا: بأنها "مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشر بها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط ان تنال هذه الاحكام قبولًا من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعتقداته"[10].

وذهب عليّ النشّار إلى أن القيم: هي "المثل العليا التي ينشدها الإنسان لذاتها ولا يلتمسها لغرض يبتغيه من ورائها؛ لأنَّ الأشياء التي يطلبها الانسان لتحقيق أغراض معينة تعتبر نسبية ومتغيرة"[11].

ومنهم من عرفها: بأنَّها "مجموعة من القوانين والأهداف والمثل العالية التي تواجه الإنسان سواء في علاقته بالعالم المادي أو الاجتماعي أو السماوي"[12]، والقيم: "أنَّها ضرب من النظام موجود يميل إليه الناس في الطبيعة"[13].

المطلب الثاني :مفهوم المواطنة:

أولًا: المواطنة لغة: "بتتبع كتب اللغة ومصنفات اللغويين وباستقراء مظان مفردة المواطنة نجد بأنَّ الكلمة مشتقة من الأصل واطن، وهي بمعنى: الموافقة"، يقال: "واطنته على الأمر وافقته، وواطن على الأمر أضمر فعله معه"[14]، "ومن

المفردة نفسها اشتق لفظ الوطن بتسكين الطاء وتحريكه": "وهي منزل الإقامة، ومربط البقر والغنم والجمع أوطان، وأوطن في البلد أقام فيه، وأوطنه ووطنه واستوطنه، اتخذه وطنًا"[15].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ﴾[16]، وهي جمع موطن؛ أي: مقامات الحرب وأماكنه[17].

ثانيًا: المواطنة اصطلاحًا: "قامت دائرة المعارف البريطانية بتعريفها بأنها": "علاقة بين فرد ودولة يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة"[18].

"وإنَّ لفظة المواطنة كما هو واضح بناء على التعريف اللغوي توحي بالتفاعل بين الذين ينتمون إلى الوطن فيأخذون منه ما يعطى من حقوق ويمنحونه ما يتطلب من واجبات[19].

وذهب بعض الباحثين: إلى قصر مفهوم المواطنة على البلد الواحد الذي يعيش فيه الفرد، وهي التي تحدد للمواطن حقوقه وواجباته ومعنى الولاء لبلاده وخدمتها في أوقات السلم والحرب والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف القومية[20].

وذهب بعضهم كذلك: إلى أنَّ المواطنة لا تعدو كونها: "تعبيرًا عن التعلق أو الارتباط الروحي والنفسي القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه اللذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية وهذا التعلق أو الارتباط يكوّن إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسئولياته نحوه"[21].

يمكن إذن تعريف المواطنة في الإسلام بأنها: "صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله "[22].

المطلب الثالث :الفكر لغةً واصطلاحًا

أولًا: الفكر لغةً: "الفكر بالكسر ويُفْتَحُ هو إعمالُ النَّظَر في الشيءِ، كالفِكْرَةِ والفِكري بكسرهما أفْكارُ فَكَر فيه وأفْكَرَ وفَكَّرَ وتَفَكَّرَ وهو فِكِّيرٌ كسِكِّيتٍ وفَيْكَرٌ كصَيْقَلٍ كثيرُ الفِكْرِ ومالي فيه فَكْرٌ وقد يُكْسَرُ أي حاجةٌ"[23].

وأيضًا قيل عنه بأنَّه: "لا فكر لي في هذا إذا لم تحتج إليه ولم تبالِ به، وما دار حوله فكري، وتقول: لفلان فِكرَ كلّها فِقرَ، وما زالت فكرتك مغاصَ الدّرر"[24]، فالفكر هو إعمال الخاطر في الشيء والتفكير به لضمان السلامة من الانحراف والغلو.

ثانيًا: الفكر اصطلاحًا: للفكر في الاصطلاح تعريفاتٌ عدة من أبرزها ما يأتي:

عرفه الجرجاني بأنه: "ترتيب أمورٌ معلومةٌ للتأدي إلى مجهول"[25].

وَعُرّفَ بأنّه: "في المصطلح الفكري والفلسفي خاصةً هو الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أي النظر والتأمل والتدبر والاستنباط والحكم ونحو ذلك، وهو كذلك المعقولات نفسها أي الموضوعات التي أنتجها العقل البشري"[26].

وَعُرّفَ أَيضًا بأنّه: "الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس؛ دل على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أُطلق على المعقولات؛ دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس"[27]. ويدل على ذلك قول الغزالي: "كان لقمان يطيل الجلوس وحده، فكان يمر به مولاه فيقول: يا لقمان إنك تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان: إن طول الوحدة أفهم للفكر، وطول الفكر دليلٌ على طريق الجنة"[28].

فإن الفكر هو من عمل العقل ونتاجه، وأنَّ الإسلام اهتم اهتمامًا بالغًا بالعقل والفكر، والدليل على ذلك كثرة ورود كلمة (فكر) في القرآن الكريم، من خلال مخاطبة الباري عز وجل للناس مثل قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[29].

ومما تقدم من تعريفات للأمن والفكر لغةً واصطلاحًا وبحسب مفهوم كل واحدةٍ منهما فلا بد من تعريف الأمن الفكري كمصطلحٍ مركبٍ وفقًا لما يأتي وهو: "أنْ يعيش المسلمون في بلادهم آمنين على مصادر ثقافتهم الإسلامية المنبثقة من الكتاب والسنة من لوثات الفكر الدخيل وغوائل الثقافة المستوردة فقد تحقق لهم الأمن الفكري"[30].

والفكر الإسلامي مصطلحٌ جديدٌ بالرغم من أصالة مفهوم الفكر والتفكر في القرآن الكريم، فقد وردت مادة (الفكر) في القرآن الكريم ثماني عشر مرة، ووردت بصيغة (يتفكرون) إحدى عشرة مرة، وبصيغة (يتفكروا) مرتين، وبصيغة (تتفكرون) ثلاث مرات، وبصيغة (تتفكروا) مرةً واحدةً، وبصيغة فكرٍ، مرةً واحدةً، وفي السنّة المطهرة نجد نبينا الكريم (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) يتعبد بالتفكر حتى قبل البعثة كان يتعبد بالفكر.

المبحث الثاني

مبادئ المواطنة والتعايش في القرآن الكريم

تمهيد: سمح الله تعالى للناس أن يكونوا مختلفين وسيبقون مختلفين بقاء السموات والأرض؛ ولكي يؤدي اختلافهم إلى التعارف والتعايش بسلام بينهم، يحتاجون إلى مبادئ ربانية لتجمعهم، فيحتاج التعايش السلمي لأنْ يكون مظلة المجتمع وروافد الكرامة والعيش لجميع أفراده، إلى مجموعة من المبادئ التي تكوّن القوائم والأعمدة التي يقوم عليها هذا المبدأ وهو العيش المشترك الكريم بين المختلفين عمومًا، قد تكون هذه المبادئ كثيرة، مختلف عليها بين الباحثين لكن أهمها في المطالب الثلاثة الآتية:

المطلب الأول :حرية الاعتقاد والأديان

الحرية: تعني الاعتراف بالتعددية والتنوع في أديان المجتمع ومعتقداته، وحرية الاعتقاد هي: "الاعتراف والسماح لأديان المجتمع وطوائفه ومذاهبه بإظهار عقائدهم وممارستها والدعوة إليها، عن طريق التجمعات السلمية، من غير إضرار بالآخرين"[31].

هذه الحرية هي حق، ولا يُسلب من أحد يمارسه ضمن خطوطه وحدوده دون التجاوز على حرية الآخرين، فحرية كل شخص تنتهي عندما تبدأ حرية شخصٍ آخر، وهذا الحق مكفول ومضمون لكل الناس أفرادًا وجماعاتٍ في الشريعة الإسلامية السمحاء، حق أعطاه الله تعالى لمن خلقهم من الإنس والجان، فلم يكرههم على الإيمان به، قال تعالى في تعليم

رسوله (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) هذا الحق المضمون: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[32]. لهذا امتثل الرسول الأكرم (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) لهذا الأمر الرباني، وضمن لمواطنيه وأطياف مجتمعه الإسلامي حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية دون إكراه أو إجبار، وتعلم الناس من الأصحاب والأغيار أنه:﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾[33]، والناس مخيّرون بين الإيمان والكفر﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[34]، مع بيان أنَّ الإنسان مسؤول عما يختاره ويعتقد به. فأهل الحق مصيرهم الجنة وأهل الباطل والجور والظلم مصيرهم النار.

المطلب الثاني :العدالة الدينية والاجتماعية

إن العدل هو الدعامة المتينة التي تشيد الأمم والشعوب بنيانها عليه، ففي ظل هذا العدل يسعى المواطنون إلى أداء واجباتهم وأعمالهم وهم مطمئنون إلى ضمان حقوقهم مما يورق ثمار الحرية والمساواة والعز والكرامة والتعايش السلمي بين المختلفين، وتتحقق التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بأجلى صورها[35].

ويقصد بالعدالة الدينية: "إعطاء الفرص المتساوية لأتباع جميع الأديان لممارسة شعائرهم وواجباتهم الدينية في إطار الوحدة الوطنية دون الإضرار بالآخرين". المسيحي حرٌّ في اعتقاده وعقيدته وعباداته ما يتسنى له إقامتها وإقامة شعائر دينه، بل يجب أن يرتقي هذا العدل إلى المساواة بين أتباع جميع الأديان فيما أوجب عليهم دينهم، ويعاقب الظالم الجائر المتجاوز الذي يحاول أن يضيق بالآخر مساحته ويغتصب منه حريته في دينه واعتقاده.

لذلك ضمن الإسلام الحنيف هذا العدل وجاهد في توفيره، ويندر أن يوجد مثيله سواء في التشريعات المدنية أو الدينية الأخرى.

ويؤكد القرآن الكريم على منزلة العدل، حيث أمر الله به في الحكم والقضاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[36].

وهذا العدل ليس للأحباب والأخوة في الدين فقط، بل يجب مراعاة العدل مع الأعداء وعدم تبخيس فضائلهم ولو لم تحبه، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[37].

أما العدالة الاجتماعية هي إحقاق الحقوق الاجتماعية للمختلفين على السواء دون إجحافٍ بحق طائفة بين طوائف وثنيات المجتمع على أساس تمييز ديني أو عرقي، أو بمعنى آخر فلا يتفرد دين أو طائفة دون الأديان والطوائف الأخرى بخيرات المجتمع وثرواته المادية والبشرية، فيحظى هو فقط بالعيش الكريم والحياة الرغيدة، من المسكن والملبس والمشرب، ويعيش الآخرون في انتظار لقمة العيش ومسكن يؤويهم، "فإن مفهوم العدل في المجتمع مردّه، بحسب تحليل العلماء المسلمين الفقهي إلى الموقف العادل والصفة العادلة للأشخاص، وأيضًا إلى الانسجام بين الروح المعتدلة والمستقيمة من جهة وبين الأعراض الاجتماعية من جهة أخرى"[38].

العدل الاجتماعي هو "توزيع عادل للثروة، والمساواة بين أفراد المجتمع من حيث الطبقة الاجتماعية، فليس هناك أسياد وعبيد، ولا فضل لأبيض على أسود ومساواة الجميع أمام القانون، وحق حرية التعبير والرأي والسكن واللباس التي ترفض التمييز والعنصرية، ولكن كل حسب جهده والتزامه، فلا يُحرم أحد من العيش الكريم، ولا يمنع أحد من التجارة المستقيمة

والملكية الفردية، وذلك في دائرة الحقوق والواجبات، واحترام دستور المجتمع، إذا تحقق هذا العدل الاجتماعي فيتحقق التعايش السلمي بين أهل الأديان والمذاهب والأعراق المختلفة، فلا يخشى أحد من أن يأكل أحد رزقه".

المطلب الثالث :السلام والسماحة بين أفراد المجتمع

يقصد **بالسلام** صيغة العيش التي تتسم بالطمأنينة والسكينة، وتتظافر في إضفاء جو الاستقرار النفسي والحب تجاه الآخرين وعدم الخوف من الاختلاط بهم زيارة واستقبالًا، والسلام ذاك العقد الاجتماعي الذي يتحرك من خلاله الأفراد المختلفون الذين يعيشون في مجتمع واحد لبناء قواعد التعامل التي تعتبر ميثاقًا لازم الاتباع، في جو السلم والأمن. والمجتمع الإسلامي الأصيل عرف بتلك الصيغة وذاك العقد الاجتماعي، والذي نعم من خلاله كافة أصحاب الأديان الأخرى بالسلام والاطمئنان دون تعصب في الدين يفرق بين المسلم وغيره.

والسلم الاجتماعي هو "الطمأنينة والتعايش الذي ينفي الصراع والخوف والحرب عن الإنسان، فردًا وجماعةً، لأن سلم الفرد يضمن سلم الجماعة كلها، فالسلم لا أهمية له إلا إذا شملت حياة الأفراد جميعهم دون استثناء، لأن المجتمع مرتبط بعضه ببعض، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش منفردًا غير مبالٍ بعيش الآخرين، ولا ينعم فرد بالسلم النفسي إلا إذا ساد السلم نفوس الآخرين، لأن الذين يفقدهم شيء يبحثون عنه والحصول عليه ولو بانتزاعه من الآخرين أو التقاسم معه".

إنَّ التعارف والتقارب وتحقيق السلام هي إحدى الغايات التي خُلق الإنسان من أجلها قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[39].

فالناس إنْ لم تجمعهم رابطة الدين فإنَّه قد تجمعهم رابطة الدم، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[40]، "اعتبر الشرع الحنيف المرء بفضيلته وليس بفصيلته، فالإسلام جاء ليجمع قلوب الناس ويؤلف بينهم ويضم صفوفهم...بهدف تكوين صلات وروابط تربط بين أفراد الأمة"[41].

هذا السلام إذا تحقق يتحقق التعايش السلمي الديني بالمحبة والوئام، ولكن قد لا يتحقق هذا السلام، إلا إذا تحقق التسامح الاجتماعي بين الأفراد المختلفين في مجتمع واحد.

ولا تتحقق وحدة المجتمع وتماسكه إلا بالتسامح المتبادل بين أبنائه. ويمكن أن يحصل السلام الاجتماعي دون الحاجة إلى التسامح والعفو إذ اقتدى البشر بالملائكة في صفائهم وعدم عصيانهم شرائع الله ، ولكن هذا مستحيل؛ لأن البشر يخطئون ويتنازعون ويتدابرون ويتقاطعون.

والتسامح: "هي كلمة دارجة تُستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية كانت أم الفردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل مَن يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء. التسامح يعني قبول اختلاف الآخرين- سواء في الدين أم العرق أم السياسة- أو عدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين، أو إكراههم على التخلي عن آخريتهم"[42].

والقرآن الكريم حمل إلينا عشرات الآيات التي تدعو إلى التسامح والعفو ونبذ العنف قال تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[43]، وقال تعالى:﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلَامًا ﴾[44]. وكان النبي(صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) مثالًا عاليًا في التسامح والعفو لأعدائه، وقال لمن أخرجوه من مكة وحاولوا أكثر من مرة قتله واغتياله: "اذهبوا فأنتم الطلقاء"[45].

يعرف المسلمون أن الوصول إلى الحق يمكن أن يكون بعدة طرق، ويمكن أن يصل إليه الباحثون عنه، ولم يكن الإسلام عائقًا أمام التبادل والتلاقح والتثاقف ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، التسامح عند المسلمين فضيلة أخلاقية وضرورة مجتمعية وسبيل لضبط الاختلافات وإدارتها، وأكد الإسلام دائمًا على النقاط المشتركة كلمة سواء ووحدة المصدر في الخلق والخالق ووحدة المصير إلى أحكم الحاكمين.

في ظل هذه المبادئ العلياء تعايش المسلمون والمسيحيون واليهود وغيرهم من أهل الاديان في المجتمعات الإسلامية، فلم يقابل إساءتهم بالإساءة، بل دفعوا السيئة بالحسنة، وتعاملوا مع العدو كأنه ولي حميم، وذلك امتثالًا لأمر الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾[46].

الخاتمة النتائج

"بعد هذه الرحلة المباركة لابد أن نقف وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل إليه من نتائج فنقول":

إنَّ مفهوم المواطنة يُعد من المفاهيم الحديثة التي لم تعرف في ثقافتنا الإسلامية بلفظه، ولكن مضمونه قديم.

إنَّ مما يساعد على التعايش الديني في البلدان المتعددة الطوائف والأديان هو توسيع دائرة الانتماء في البلد، وإنَّ التعارف والتقارب وتحقيق السلام هي إحدى الغايات التي خلق الإنسان من أجلها.

الأمن الفكري الإسلامي سمة بارزة من سمات قيام المجتمع الإسلامي في عصر النبوة، وهو أساس من أسس حماية المجتمع من الفتن، وانزلاقه في دهاليز الظلمة ويعد الأمن الفكري الإسلامي اصلًا من اصول بناء المجتمع في العصر النبوي ويظهر ذلك جليًا في سنة النبي (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) بشكل عام وفي وثيقة المدينة بشكل خاص.

إنَّ التعايش يعني بناء علاقات إيجابية بين مكونات المجتمع المتعدد الأطياف والطوائف والأديان، وذلك حسب عقد اجتماعي متفق عليه بين تلك المكونات، وهذا العقد يضمن الحرية الدينية لأتباع كافة المذاهب والأديان، حتى يسودهم التسامح الديني، والعدالة الاجتماعية، والسلام الاجتماعي الشامل العادل والاجتماع والالتفاف حول النقاط المشتركة والمصالح العليا، والمبادئ المطلوبة.

"المواطنة مقبولة إن تم تفسيرها باحترام أهل الأديان الأخرى وعدم محاربتهم في عقائدهم وسلوكياتهم مع مراعاة خصائص افراد المجتمع الاخرين".

"تقوم فكرة المواطنة على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من افراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على اخر تحت أي مسوغ دينيًا أو عرقيًا أو فكريًا أو سلوكيًا أو مجتمعيًا، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى اتباع الديانات المختلفة في المجتمع الواحد".

"لقد أرسى القران الكريم والسنة النبوية المطهرة مبادئ المواطنة قبل الغرب، وذلك من خـــلال النداء الإلهي العظيم: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾.

التوصيات:

الاعتماد الرئيسي على القرآن الكريم؛ لأنه يُعدّ المصدر الأساسيّ لفهم القيم الإسلامية، حيث يزخر بآيات تتناول مبادئ العدل والمساواة والكرامة الإنسانية والشورى والتكافل الاجتماعي، وغيرها من القيم التي تُؤسّس لمفهوم المواطنة الصحيحة.

ولا ننسى السنة النبوية الشريفة؛ فهي تُكمّل القرآن الكريم في شرح وتوضيح القيم الإسلامية، وتُقدّم نماذج تطبيقية لهذه القيم في حياة نبينا الكريم محمد (صلى الله تعالى عليه وآله وسلم) وسلم وسيرته العطرة.

الرجوع إلى التراث الإسلامي والاستفادة من تراثه الغنيّ من كتب الفقه وأصول الفقه والتاريخ والفلسفة، حيث تقدّم هذه الكتب تحليلات عميقة للقيم الإسلامية وتطبيقاتها في مختلف مجالات الحياة، بما في ذلك مجال المواطنة.

المطالعة لما كتبه رواد الفكر الإسلامي المعاصر، كأبي الحسن الندوي، الذي اهتمّ بموضوع المواطنة في الإسلام وقدم رؤية متكاملة حول حقوق وواجبات المواطن المسلم. ومحمد عابد الجابري، فيلسوف ومفكّر مغربي، تناول مفهوم المواطنة في الإسلام من منظور فلسفي، وربطه بمفاهيم مثل الحرية والعدالة والديمقراطية. وعارف عبد الرحمن، باحث ومفكر إسلامي، قدم دراسات قيّمة حول مفهوم المواطنة في الإسلام، وركز على دور الشريعة الإسلامية في تعزيز قيم المواطنة. وزكي الميلادي، باحث تونسي، اهتمّ بموضوع المواطنة في الإسلام من منظور حقوق الإنسان، وقدم دراسات حول حقوق الأقليات الدينية في الدول الإسلامية.

الرجوع إلى المؤسسات البحثية، كمركز دراسات المواطنة والديمقراطية، فهي مؤسسة بحثية رائدة في مجال المواطنة والديمقراطية في العالم العربي والإسلامي، تُصدر دوريات علمية وتُنظم مؤتمرات وندوات حول هذا الموضوع. ومركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، ويعد مؤسسة بحثية تُعنى بدراسة قضايا التنمية والعدالة الاجتماعية في العالم العربي والإسلامي، وقد أصدرت دراسات حول مفهوم المواطنة في الإسلام. ومعهد الدراسات الإسلامية بلندن، وهو مؤسسة أكاديمية تُقدم برامج أكاديمية وبحثية حول مختلف جوانب الإسلام، بما في ذلك موضوع المواطنة.

زيارة بعض المواقع الإلكترونية، كموقع إسلام أون لاين، حيث يعد من المواقع الإلكترونية التي تضمّ مكتبة واسعة من الكتب والمقالات حول مختلف القضايا الإسلامية، بما في ذلك موضوع المواطنة. وموقع المسلم، وهو موقع إلكتروني يضمّ مقالات ودراسات حول مختلف القضايا الإسلامية، بما في ذلك موضوع المواطنة.

تحديد مجال البحث بدقة، فمن المهمّ تحديد مجال البحث بدقة قبل البدء به، مثل: "دور الشريعة الإسلامية في تعزيز قيم المواطنة"، أو "حقوق الأقليات الدينية في الدول الإسلامية من منظور المواطنة".

البحث عن المصادر الموثوقة، حيث يجب الاعتماد على المصادر الموثوقة في البحث، مثل الكتب والمقالات العلمية الصادرة عن مؤسسات بحثية أكاديمية أو مفكرين ذوي خبرة.

استخدام منهجية علمية في البحث، مثل: جمع البيانات وتحليلها واستخلاص النتائج.

وأخيرًا أُنصح بمراجعة الدراسات والبحوث السابقة التي تناولت موضوع المواطنة من منظور فكري إسلامي معاصر، وذلك للاستفادة من تجارب الباحثين الآخرين وتجنب تكرار الأخطاء.

هوامش البحث:

) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، دار الصادر ،بيروت، 1994،(406/12).[1] (
) سورة الإسراء: الآية 34.[2](
) سورة آل عمران: الآية 75.[3](
) ابن منظور، 1994 ،67/3.[4](
) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت / لبنان 1983، [5](
(2 /530).
) سورة فصلت: الآية 30.[6](
تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الملقب بمرتضى الزبيدي ،تحقيق مجموعة من المحققين– [7](
دار الهداية ،(ب-ت).(33/ 380).
) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، [8](
الطبعة الثانية، 1392هـ: 65/1.
) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، مطابع دار الصفوة، القاهرة،34،1984/132.[9](
) ينظر: القيم في العملية التربوية ، ضياء زاهر، مؤسسة الخليج ، القاهرة ، 1984،ص9.[10](
) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د. علي النشار ، دار المعارف ،القاهرة، 1971، ص3 .[11](
) الأصول الفلسفية للتربية ، محمد الهادي العفيفي ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة286،1970.[12](
) الاتجاه الاخلاقي في الاسلام، مقداد يالجين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1971.، ص307.[13](
) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة وطن (13/ 451) ، ومعجم تهذيب اللغة الأزهري (4/ 424)، وفتح القدير، محمد بن [14](
علي الشوكاني (2/ 347).
) ينظر: أساس البلاغة، محمود الزمخشري، ص 487.[15](
) سورة التوبة: الاية25.[16](
) ينظر: المواطنة، إبراهيم ناصر، ص 5.[17](
) ينظر: القاموس السياسي، أحمد عطية الله، مادة (موطن) ، ص1268.[18](
) ينظر: تربية المواطن من منظور اسلامي ، عبد الكريم غلاب ، ص61.[19](
) ينظر: المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، بشير نافع،ص247.[20](
) تربية المواطن، محمد الشيباني ،ص 35 .[21](
) حب الوطن منظور شرعي، د. زيد بن عبد الكريم الزيد،ص53.[22](
(23) القاموس المحيط، للفيروز آبادي، باب الراء- فصل الفاء، 159/2.
(24) أساسُ البلاغة، للزمخشري، ص: 479.
(25) التعريفات، للجرجاني، ص:168.
(26) حقيقة الفكر الإسلامي، عبد الرحمن الزنيدي، الرياض- دار المسلم، الطبعة الثانية1422ه، ص:10.
(27) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية: الدكتور جميل صليبا الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني- لبنان- بيروت، 1982م، 156/2.
(28) إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد الغزالي، علق عليه جمال محمود محمد سيد، دار الفجر للتراث- القاهرة، الطبعة الأولى، 1420ه= 1999، 86/5.
(29) سورة البقرة الآية: 219.
(30) يُنظر: الأمن الفكري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م، ص: 16.
(31) الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في اطار الوحدة، د. محمد عمارة، 8.
(32) سورة يونس: 99.
(33) سورة البقرة: 256.
(34) سورة الكهف: 29.
(35) ينظر: موسوعة أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي 41/1-202.
(36) سورة النساء: 58.
(37) سورة المائدة: 8.
(38) العدل في العلاقات بين الدول والأديان في النظرة الإسلامية والمسيحية، أندراوس بشتة والسيد عبد المجيد ميردامادي، 44.
(39) سورة الحجرات: 13.
(40) سورة النساء: 1.
(41) ينظر: السلم في القرآن والسنة/263 .

(42) ينظر: مقال: التسامح في الإسلام، نبيل نعمة الجابري، مركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث، http://www.annabaa.org/nbanews/68/380.htm
(43) سورة الأعراف: 199.
(44) سورة الفرقان: 63.
(45) السيرة النبوية لابن هشام 78/4.
(46) سورة فصلت: 34.

المصادر والمراجع

1. بعد القرآن الكريم.
2. إحياء علوم الدين، للإمام أبي حامد محمد الغزالي، دار الفجر للتراث- القاهرة، 1999.
3. أساس البلاغة، محمود الزمخشري ،مكتبة لبنان للنشر، بيروت، 1999.
4. الإسلام والتعددية، الاختلاف والتنوع في اطار الوحدة، د. محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية، 2008م.
5. الأمن الإسلامي: صباح محمود محمد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، 1994م.
6. الأمن الفكري الإسلامي بين المخاطر والمقاصد والوسائل، جنيد ساجد جهاد، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإمام الأعظم الجامعة، قسم الدعوة والفكر، 2016م.
7. الأمن الفكري الإسلامي، سعيد الوادعي، مجلة الأمن والحياة، العدد:187، 1418ه.
8. الأمن القومي العربي، علي الدين هلال، دراسةٌ في الأصول، مجلة شؤون عربية، عدد ٣٥ يناير ١٩٨٤م.
9. تاريخ الفكر العربي، إسماعيل مظهر، دار الكاتب العربي، بيروت، 2012م.
10. تربية المواطنة من منظور اسلامي، د. محمود خليل أبو دف،،(د.ط.ت).
11. التسامح في الإسلام، نبيل نعمة الجابري، مركز الإمام الشيرازي للدراسات والبحوث، http://www.annabaa.org/nbanews/68/380.htm
12. التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار الكتب العلمية - بيروت، 1988م.
13. حب الوطن منظور شرعي، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1997.
14. حقيقة الفكر الإسلامي، عبد الرحمن الزنيدي، الرياض- دار المسلم،3 200.
15. العقد الفريد، شهاب الدين ابن عبد ربه الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت 1984.
16. علم الاجتماع الديني، زيدان عبدالباقي، دار غريب للطباعة، القاهرة، 2006م،.
17. العين، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، دار الهلال (د. ت).
18. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب، بيروت ،2003 .
19. الفكر الاجتماعي في الإسلام، شلال حميد سليمان)، جامعة بغداد، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الديني، غير منشورة،2005.
20. فيض القدير، زين الدين المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1356ه.
21. القاموس السياسي، أحمد عطية الله، دار النهضة العربية، بيروت ،1968.
22. القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق،1988م.
23. القاموس المحيط، مجد الدين محمد الفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت،1991م.
24. لسان العرب، محمد ابن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، 1994.
25. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، الدكتور جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني- بيروت، 1982م.
26. المفهوم الأمني في الإسلام، علي فايز الجحني، مجلة الأمن، الصادرة من وزارة الداخلية العدد (2) ذي الحجة، 1408ه.
27. مقومات الأمن في القرآن: إبراهيم سليمان الهوميل: المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، المجلد 15، العدد (29)، 1421هـ.
28. المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، بشير نافع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.